١- يهود الدونمة في الدولة العثمانية بين الدين و السلطة (١٦٤٨-١٩١٤)

بقلم الدكتور :أنور فاضل علي صبيّ
أستاذ في التاريخ الحديث والمعاصر

مصطلحات الدراسة

الدونمة –اليهود– الاوروبي– سبتاي –إستانبول– العثمانية– الصهيونية – هرتزل – الطورانية– سياسة التتريك

ملخص اللغة العربية:

إنَّ هذا البحث يركز على " الأسباب العميقة لتحول الدونمة من اليهودية للإسلام تحت حكم الدولة العثمانية، وزيادة ارتباطها بالصهيونية في العهود الاخيرة، وتركزهم في مدينة سولونيك المدينة العثمانية الاقتصادية المهمة، ثم التوسع في الدولة العثمانية للسيطرة على الاقتصاد والسياسية بهدف تحقيق طموحهم بانهاء السلطنة العثمانية المسلمة من داخلها، بتحقيق مشروع سياسي متكامل يهدف الى فك ارتباط الدولة العثمانية بولايات العربية من جهة وزيادة سخط الشعوب الاسلامية على سياسة التتريك التي اعتمادها الاتحاديون من جهة ثانيةونجح يهود الدونمة في اهدافهم في تلك المرحلة

لذلك تحرك يهود الدونمة للأقيام بانقلاب على السلطان عبد الحميد الثاني وانهاء دور الدولة العثمانية العالمي.

Abstract

This research focuses on "the main causes that led to the conversion of the Jews of Dounmeh to Islam under the rule of the Ottoman Empire, The Jews of Dounmeh were able to exploit their presence within the Ottoman Empire and convert to Islam to achieve their goals and control the Ottoman ruling. Therefore, we note the connection of the Jews of the Dunmeh closely linked to Zionism during the period of the decline of Ottoman influence and the weakness of the Ottoman Empire. And through the role played by Dounumeh in the Zionist movement, which was calling for Palestine national homeland for the Jews, and their role in the establishment of the Union and Promotion in 1889, which had a significant impact on the course of events at the end of the Ottoman Empire and modern Turkey later.

مقدمة :

بسطت الدوله العثمانية سيطرتها على مساحات واسعة من العالم، الغربي والشرقي، وامتد نفوذها إلى ثلاث قارات (إفريقيا، آسيا، أوروبا)، كما سيطرت على منافذ بحرية مهمة(البحر الأبيض المتوسط، البحر الأسود، والبحر الأحمر)؛ وبالتالي، إنّ إلقاء الضوء على تاريخ السلطنة العثمانية له أهمية متزايدة في فهم منطقة استراتيجية ما زالت الى وقتنا الحالى تشهد الكثير من التطّورات والتغُّيرات.

عاشت الولايات جمعيها وعلىاختلاف أديانها وأعراقها وقومياتها في ظل الدولة العثمانية، بنوع من الحرية والتسامح، قبل مرحلة التتريك وكان تنّوع الاديان في الدولة ، من مسلمين ومسيحيين ويهود من أبرز الصفات فيها، وفي هذا الإطار كان اليهود يعيشونداخل تلك الدولة .

ومن الاهمية بمكان القول، إنّ دراسة يهود الدونمة تكتسب الكثير من الأهمية بسبب العديد من العوامل، التي من أهمها :

١. إماطة اللثام عن غموض يهود الدونمة، ورموزهم، وأساليب عملهم،
٢. طريقة عمل هذه الفرقه التي استطاعت أنتغير أساليب عملها في الدولة العثمانية من خلال اتباع اسلوب جديد وهو اعلان إسلامهم للوصول الى أماكن مهمة داخل الدولة، والعمل على تخريب الدولة العثمانية من الداخل.
٣. استطاعت ربط الدولة العثمانية مع الكيان اليهودي اقتصاديا مما انعكس سلباً على العلاقات بين المنطقة العربية والدولة العثمانية، وجعل الأخيرة أحد مصادر تهديد الأمن القومي العربي فيما بعد .
٤. المصالح اليهودية في الدولة العثمانية ؟ ودور شخصيات يهود الدونمة في انقلاب جمعية الاتحاد والترقي عام ١٩٠٩ .

والسؤال الذي يبرز – هنا – هو(لماذا يركز يهود الدونمة على الدولة العثمانية عامة، والمنطقة العربية بشكل خاص وماهي أهميتها في التطورات السياسية والاقتصادية بين أعوام (١٦٢٦-١٩١٤)في العالم ؟

"يهود الدونمة" هم فرقة يهودية, ظهرت في القرن السابع عشر في منطقة مهمة من العالم، وهي الدولة العثمانية ويعد "سبتاي زيفي" (١٦٢٦-١٦٧٥) المؤسّس لهذه الفرقة، إذ ادعى بأنه المسيح المخلص الذي جاء لينقذ بني إسرائيل، وينهي مرحلة الشتات لأتباع الديانة اليهودية، وإنشاء مملكة إسرائيل في أرض الميعاد، لكن هذا الحاخام الذي لم يتردد في اعتناق الإسلام بعد أن أيقن أن حياته اصبحت قاب قوسين أو أدنى من نهايتها، عندما قامت الدولة العثمانية بمحاكمته لوشاية بعض حاخامات اليهود المناوئين له عنه عند الباب العالي، واتهامهم إياه بتهديد أمن الدولة العثمانية وسلامتها، ولكنهذه الإنعطافة في دعوه "سبتاي" واعتناقه الاسلام مثلت ظاهرة مهمة في تاريخ الدولة العثمانية بسبب الدور الذي لعبه أتباعه ومريدوه في جسد الدولة العثمانية خاصة بعد انقسام اتباعه الى قسمين : الاول صدق "سبتاي" ووجد أنَّهذهأفضل طريقة فاعتنق الإسلام ظاهرياً وأخفى اليهودية،أما القسم الثاني فقد رفضوا هذا الأمر جملة وتفصيلاً، وهم ليسوا موضوع الدراسة .

الإشكالية: يدور هذا البحث حول إشكالية مركزيةٍ مفادها أن تحولات اليهود لم تكن دينية وإنما لأجل الحصول على مناصب سياسة في الدولة العثمانية ، وتحقيق المشروع الصهيوني .

الفرضيات: أبرز الفرضيات العلمية التي يطرحها هذا البحث هي ثلاث فرضيات أساسية:

١. شكّلت الأهمية الاقتصادية والجغرافية والسياسية للدولة العثمانية مركزاً جاذبا لليهود، وذلك بهدف اتخاذها منطلقاً للتوسع الاقتصادي في المنطقة .
٢. دور الرأسمال اليهودي في دعم انتشار أفكار يهود الدونمة .

٣. ما قام به يهود الدونمة من اعتناقهم الإسلام كان حركة دينية– سياسية تهدف الى القضاء على الدولة العثمانية من الداخل، وأحد أساليبها التشكيك في القيم الاسلامية داخل المجتمع العثماني عن طريق تبنيأفكار غير إسلامية، ورفض القيم والمبادىء الاسلامية.

بدايات ظهور يهود الدونمة في الدولة العثمانية :

عندما بدأ الاضطهاد الاوروبي لليهود، يتصاعد منذ النصف الثاني من القرن الثالث عشر؛ وبالتحديد، منذ عام ١٢٥٣م،حيث قامت الحكومة الفرنسية باتخاذ حل جذري لمشاكل اليهود داخلها، بطردهم من فرنسا، وقد كان هذا الاجراء كردفعل على أفعال اليهود ولمخالفتهم القوانين الفرنسية والتسبب بغضب الشعب الفرنسي عليهم[١]. لجأوا الى انكلترا، واستطاعوا أن يتغلغلوا بين أوساط المجتمع الإنكليزي، واخذوا يمارسون أعمالهم الربوية وعلى الرغم من منع الملك هنري الثالث[٢]، للمرابين من استغلال الشعب الإنكليزي، ولكنهم لم يتوقفوا، تورط ثمانية عشر يهودياً كانوا ينظمون تلك العمليات الى المحاكمة وحكم عليهم بالإعدام ولكنْ بعد توليّ أدوارد الأول[٣] الحكم حاول تنظيم أمور اليهود في انكلترا من خلال قوانين سُمِّيت ب(الأنظمة الخاصة باليهود)، وكان من أبرزها قانون الحد من انتشار الربا ، ولكن عدم إطاعة اليهود لهذه القانون جعلالملك إدوارد يُصدر قانون الطرد من انكلترا، وقد أطلق على هذا الطرد الإجلاء الكبير[٤]. وقد توالت عملية طرد اليهود من باقي الدول الأوروبية؛ إذ طردوا من سكسونيا عام ١٣٤٨م، وهنغاريا عام ١٣٦٠ ، وبلجيكا عام ١٣٧٠ ، وسلوفاكيا عام ١٣٨٠م، والنمسا عام ١٤٣٠م، وهولندا عام ١٤٤٤ م، وكذلك بعد سقوط آخر المعاقل الإسلامية في الأندلس بيد الإسبان، وانتشار محاكم التفتيش الكاثوليكية لملاحقة اتباع الديانتين الإسلامية واليهودية ، اضطر أكثر من ١٠٠ الف يهودي الى الهجرة منمدينة غرناطة الإسبانية فيأواخر القرن الخامس عشر قاصدين المانيا وإيطاليا، بالإضافة الى مدينتي "ازمير" و"سالونيك" التركيتين ، وقد ضمّت تلك الهجرة في صفوفها أعداداً كبيرة من ذوي الخبرات العالية في مجالات التجارة والصيرفة والصناعة، وخصوصاً صناعة الاسلحة[٥].

يهودالدونمة :الأصلوالنشأة

" الدونمة" (Donmeh)كلمة تركيةمركبةمنجزأين :"دو "بمعناثنين(فارسيةالأصل)و"نمة "بمعننوعومعنىالكلمةالفرقةالقائمةعلى نوعينمنالأصول :النوعاليهودي،والنوعالإسلامي،وقدأطلقالأتراكعلىاليهودالمتظاهرين أو المتخفين[٦](الردة)بالإسلامعبارة" دونمة"، وهيمصدرمشتق منفعل "دونمك" أيعادورجع[٧]،أماالمصدرنمةفيعنيالمرتدينعندينهم[٨].

ويُعدُّ " سبتاي زيفي "[٩]المؤسِّس الحقيقي ليهود الدونمة عام ١٦٤٨م، حيث استغل بعض النصوص الدينية العبرانية التي تبشِّر بظهور مسيح جديد يحكم العالم آخر الزمان مُدّعياً أنه هو المسيح المنتظر الذي يتّخذ من القدس عاصمة للدولة اليهودية، فصّدقه عدد كبير من اليهود، وانهالت عليه الوفود بروسيا وصوفيا وأدرنة، وأطُلق عليه ملك الملوك، وجعل أبراهام ناتان يهودي الأصل رسوله إلى الناس[٩]. وبدأ اليهود الذين صدّقوا ادعاءات " سبتاي "ينتظرون يوم الخلاص الموعود، فتركوا الدنيا وملذاتها، لتطهير أنفسهم، حتى أصاب حياتهم العامة الشلل إذ تركوا أعمالهم وتجاراتهم، وبدأوا يخرجون ليلاً حاملين الشموع، وينادون باسم " سبتاي "، وكانوا ينشدون المزمور الواحد والعشرين في المعبد ثلاث مرات في اليوم صباحاً وعصراً وليلاً، وكان هؤلاء قد نقشوا هذا المزمور على الخشب في أحد المعابد وأحيط بتاج كتب عليه تاج " سبتاي زيفي "[١٠].وفي الوقت نفسه اندفع يهود الدونمة في تهديد خصومهم وخصوصاً من المسيحيين، وقد قال بعض المسيحيين في اسطنبول : " إنّ هؤلاء أتباع سبتاي قد هدّدونا، وحذرونا من كارثة رهيبة ستحدث لنا، إذا لم ننضم إليهم في أسرع وقت برغبة منا، ومن أجل مصلحتنا، وأن علينا أن نذهب الى الملك (سبتاي) الذي سيحكمهم، ونُصدِّقبقيام مملكته، ونخضع لدينهم، وشريعتهم التي سُتطبَّق في العالم "[١١] .

ومن الأهمية بمكان القول؛ إن هذه المرحلة شهدت تطور ادعاء " سبتاي "؛إذ بدأ يحاول كسب اليهودالموجودين في العالم، مبشرا إياهم بأنه سيقوم بالثأر لليهود من كل أعدائهم، وأنهم سوف يحكمون العالم من دولتهم التي ستُنشأ قريباً، وأن النصر قادم لا محالة، ومن هذه الرسائل ما كتبه الى يهود بولندا؛ حيث جاء فيها : " قريبا سأثأر لكم وأسليكم، كما تسلي الأم ابنها، وساعوِّضكم مائة ضعف عن العذابات التي قاسيتموها، وان يوم الثأر قريب، وقد قربت سنة الخلاص "[١٢]. وبدأت دعوات " سبتاي " تجد استجابة من قبل اليهود، فقد احتفل اليهود في الشوارع في هامبورغ وأمستردام وبولندا، مستبشرين بظهور " سبتاي " وقرب الخلاص على أساس أن مايقوم به اليهود هو نوع من التحدِّي[١٣]

وهذا، ويعتبر اعتناق سبتاي زيفي للدين الاسلامي حدثاً تاريخياً فاصلاً، سواء لسبتاي ودعوته من جانب، لأتباعه ومريديه من جانب آخر، فقيام " سبتاي "بإعلانإسلامه من أجل النجاة بحياته، أصاب اليهود من اتباعه بنوع من الذهول، وهنا حدث أول انشقاق، يمكننا تسجيله بين اتباع سبتاي وظهوردعوته بشكل رسمي، فقد انقسم اتباعه الى قسمين : الأول هم من استمرّوا باتباعه من خلال اعتناقهم الإسلام ظرهرياً وإخفائهم اليهودية وقد أُطلق عليهم اسم يهود الدونمة[١٥]، والقسم الثاني منهم رفضوا هذا الأمر مستنكرين قيام " سبتاي " باعتناق الإسلام فتركوه وظلوا على يهوديتهم [١٦].

ولم يكن اليهودفي الولايات العربية بمعزل عما يحدث، فقد كان حالهمحال بقية اليهود ، ففي اليمن صدّق الكثيرون من اليهود دعوة " سبتاي "، وعم الفرح والسرور الجالية اليهودية فيها، فأخذ يبشّر أحدهم الأخر بأن الخلاص قريب وأخذ البعض يبيع أملاكة ويتهيأ للذهاب الى فلسطين، وكان من بين المصدِّقين بهذه الدعوة شاعر يهودي يمني اسمه (شالوم شبازي) الذي سخر شعره من أجل إثارة عواطف اليهود ومشاعرهم، وكانت أشعاره خليطاً من العربية والعبرية وقد دعا خلالها الى التصديق " بسبتاي " ، وكان من جملة ما قاله: " لقد جاء المخلص ومع النبي إلياهو، فلترتفع أصواتنا، ولنذهب الى صهيون بأغانٍ وفرح " وهذا ما أثار غضب إمام اليمن الذي أصدر أمراً بمعاقبة اليهود الذين صدّقوا " سبتاي " لاعتقادهم بأنهم يحاولون قلب نظام الحكم، ولكنهم لم يتوقّفوا عن التمجيد لـ" سبتاي "، ما دفع حاكم إحدى المقاطعات إلى إعدام حاخامهم سليمان الأقطع. وفي ليبيا كان "أبراهام كردوزو "[١٧]من أكثر اليهود تحمساً لدعوة " سبتاي " والتبشير بها منذ ظهورها، وقد كان على تواصل تام مع " نطحان " واستمر إيمانه بسبتاي حتى نهاية حياته . أما في مصر وسوريا، فقد أخذ اليهود يتوبون بشكل جماعي، وتوقّفوا عن أعمالهم التجارية، وأخذوا يتقشّفون بملابسهم، وبعضهم أكثروا من الصيام؛ بل وأنشاوا صندوقاً لمساعدة الفقراء[١٨].

ومن الجدير بالإشارة إليه أنّ تحرّكات " سبتاي " لم تكن غائبة عن أسماع الحكومة العثمانية، خصوصا بعد أن وصل عدد كبير من أتباعه عن طريق البر نهاية عام١٦٦٥ الى اسطنبول، منتظرين وصوله ليكونوا في استقباله، وفعلا وصل الى اسطنبول بعد شهرمن انطلاق المركب، ولكن حال وصوله اسطنبول امر الصدر الاعظم(فاضل أحمد كوبرلو) الجنود بإلقاء القبض عليه،وسجنه في سجن زندان قابو باستانبول عام ١٦٦٦م بتهمة ادعاء النبوة، ثم سيق إلى مدينة أدرنة للمحاكمة التي حضرها وكيل الصدر الأعظم مصطفى باشا، وشيخ الإسلام منقاري زاده يحي أفندم، وإمام السلطان الواعظ محمد أفندي الواني، كما حضرها رئيس الأطباء حياتي زاده مصطفي أفندي وهو يهودي مسلم يتكلم الاسبانية، وقد اختير مترجما له، وانتهت المحاكمة بالأمر بإعدامه لولا رأي المترجم الذي طلب منه أن يُعلن إسلامه، فوافق، وأعلن إسلامه، فعفى عنه السلطان، الذي كان يراقب مجريات المحكمة من وراء حجاب، وأطلق سراحه، وبدأت مراسيم إسلامه بتبديل اسمه فصار محمد عزيز أفندي، واغتسل، ونطق بالشهادتين، ولبس الجبة والعمامة[١٩]، وعُيّن رئيساًللبوابين في القصر السلطاني براتب قدره مائة وخمسين أوقية فضة شهريا . وقد أرسل " سبتاي " نشرة إلى أتباعه قال فيها " جعلني يهوه مسلما أنا أخوكم محمد البواب، هكذا أمرني فأطعت " وبما أن الكتب اليهودية تقول : إن المسيح سيتبعه المسلمون، أكد على أن : " كيان سبتاي القديم صعد إلى السماء

وبأمر من يهوه، ترك ملكا يستمر في كونه المسيح، ولكن تحت جبّة وعمامة " . وقد أصبح "سبتاي" يقضي الكثير من وقته في قصر السلطان، وكان مجموعة من اتباعه قد أظهروا الإسلام كما أظهره هو ، ثم أخذ "سبتاي" ومعه اتباعه يطوِّرون فكرة السلوك المزدوج .وهذا، وقد انقسم يهود الدونمة الى ثلاث فرق: اليعاقبة، والقراقاشية، والقابانجية، وجميع هذه الفرق أظهرت الإسلام دينا ومارست عقيدتها في السر، ولكنها كانت تختلف فيما بينها قي فهمها للعقيدة الإسلامية التي تمارسها بين أوساط المجتمع العثماني في العلن(٢٠).

هاجر اليهود من إسبانيا على إثر حملات الاضطهاد النصراني لهم بعد سقوط الدولة العربية في الاندلس سنة ١٤٩٢م، واستقروا في بداية الأمر في مدينة سالونيك(٢١)،حتى أنّ عدد السكان من اليهود أصبحوا يشكلون أكثر من ٦٠٪ من سكانها ثم انتشروا في المدن التركية المطلّة على بحر مرمرة خاصة في المدن التي تشكل أهمية استراتيجية، وعملوا في التجارة والاقتصاد(٢٢) وتمكنوا من تشكيل لوبي يهودي استطاع أن يتغلغل في الكثير من مفاصل الدولة العثمانية، ما أتاح لهم في مابعد لعب دور كبير في القضاء عليها.

تغلغل يهود الدونمة في المجتمع العثماني :

كان يهود الدونمة يتكلمون لغتين لغة تركية يتفاهمون بها مع الأتراك، وإسبانيةيتفاهمون بها فيما بينهم،وقد تغلغلوا في الحياة الاجتماعية للاتراك حيث أخذوا بالزواج من بنات العوائل المسلمة العريقة، طمعاً في أن يتغلغلوا في المجتمع، فيما كانوا يرفضون تزويج بناتهم لغير اليهود، الا في حالات خاصة، يكون لهم فيها منفعة، مثل : زواج الكاتب المعروف " زكريا مارتل " من فتاة تنتمي الى يهود الدونمة، تدعى صابحة وكان ذلك لغرض السيطرة على هذا الكاتب المشهور(٢٣).

وقد شهدت سنوات عهد السلطان مراد الأول (١٣٦٠-١٣٩٨) توافد عدد كبير من اليهود، خصوصا على مدينة أنقرة التي تُعتبر من أهم المدن العثمانية وقد فُتحت سنة (١٣٦٠) ، وعندما فتح السلطان محمد الثاني الفاتح(١٤٥١-١٤٨١) استانبول (القسطنطينية) عام ١٤٥٣م رحب به اليهود الذين كانوا موجودين في استانبول،وأيدوه، وذلك لسوء معاملة البيزنطينين لهم ، لذا قام محمد الفاتح بمنحهم بعض الامتيازات التيمنها حق استقلالهم القضائي في ما يتعلق بالنزاعات والخلافات الداخلية ، وبذلك جمع الحاخام الأكبر بين يديه السلطات الدينية، والقضائية، والمالية، ثم حصل على لقب (حاخام باشي اليهود)(٢٤) وكان السلطان سليمان الثاني تزوج من امرأة دونمية تدعى " نوربانو "، وهي والدة السلطان مراد الثالث وقد فسحت " نوربانو" المجال لليهود للتغلغل في القصر السلطاني(٢٥). هذا، وقد شهد عام ١٤٩٢م تزايد عدد الواصلين من اليهود الى الدولة العثمانية بعد طردهم من إسبانيا في زمن الملك " فرديناد "(٢٦) وقد سمحت لهم أن يتعايشوا مع المسلمين، ومنحتهم كامل الحرية في ممارسة شعائرهم اليهودية، وفرض سلاطين ال عثمان على جميع مؤسّسات الدولة وجوب توفير الحماية لأرواح اليهود وممتلكاتهم، وكان ذلك باعتراف اليهود أنفسهم عندما كانوا يقارنون حالهم في الدولة العثمانية بأوضاعهم التي كانوا يعيشونها بين المجتمعات الأوروبية في تلك الحقبة(٢٧) ، وهكذا بدأ أفراد الطائفة اليهودية يحصلون على العديد من الامتيازات مع زيادة تواجدهم في السلطنة العثمانية فأصبح لهم متحدث باسم الطائفة اليهودية في عهد السلطان سليمان القانوني(١٥٢٠-١٥٦٦)(٢٨). وعندمازعم " سبتاي"أنه يريد أن يهدي قومه إلى الإسلام وترك الديانة اليهودية،نال جرّاء ذلك قبولاً من لدن السلطان محمد الرابع (١٦٤٨-١٦٨٧) الذي عيّن له راتباً، وسمح له أن يقوم من أجل ذلك بجولات في مختلف أنحاء الدولة ، وفعلا كان يدعوهم الى الدين الإسلامي في الظاهر، ولكنّه كان يدعوهم في السر إلى التمسك بدينهم والبقاء عليه، وأن يعملوا بكل قوّة للسيطرة على اقتصاد الدولة بغية الإمساك بمفاتيح الدولة، لما يمثله الاقتصاد من أهمية كبيرة، وكونه عصب الدولة العثمانية، وقد ضُبط " سبتاي " من قبل رجال السلطان في مكان قريب من استانبول وهو يخاطب أتباعه : "

أما الان، وقد أصبحتم مسلمين، اعملوا بكل حرية، عليكم أن تسيطرواعلى المصادر الدينية والطبيعية والمالية والتجارية والحيوية للأتراك، واستنفذوا في سبيل ذلك كل إمكاناتكم، واستخدموا مختلف الوسائل، حتى تتمّ لكم السيطرة الشاملة عليهم "(٢٩).

دور يهود الدونمة السياسي في الدولة العثمانية :

بدأت الحركة اليهودية تعمل في الدولة العثمانية من الداخل من أجل التحّكم بمقدراتهاالسياسية والاقتصادية، وقد مثّلت الدونمة الركيزة الأساسية لهذا التحرّك؛ حيث سعت الى استمالة بعض الشخصيات التي التقت مصالحهم معها من أجل إضعاف الدولة العثمانية، ومنها على سبيل المثال محاولات وزير الخارجية مصطفى رشيد باشا الذي أصدر تشريعات في أواخر عهد السلطان محمود الثاني عام ١٨٣٩ تشجيع الأقليات في الدولة العثمانية على المطالبة بالانفصال عن الدولة، كما أصدر تشريعات أخرى تدعوا إلى التغريب تحت مصطلح(الإصلاح)، ورغم أن هذه التشريعات جوبهت بالرفض من قبل علماء الدين، وتمّطرده من الحكومة عام ١٨٤١، إلا أنه استطاع العودة مرة أخرى عام ١٨٤٥ لتولي منصب رئاسة الوزراء، ولم يُعزل إّلا في عام ١٨٥٨(٣٠)، واستمر نفوذ الدونمة في الزيادة داخل الدولة؛ حيث استطاع مدحت باشا(من يهود الدونمة)(٣١) أن يصل إلى منصب الصدر الأعظم(رئيس الوزراء) في الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد المجيد الأول وأخيه عبد العزيز، وقد بدأ مدحت باشا يخطط لقتل السلطان عبد العزيز إثر محاولة الأخير العودة إلى اعتماد الشريعة الإسلامية في الحكم، وتولية"مراد الخامس"(٣٢) ابن السلطان عبد المجيد الأول الذي كان يميل الى العلمانية ويبتعد عن الشرع الإسلامي(٣٣)، ونتيجة لفتوى أصدرها شيخ الإسلام حسن خير الله بجواز عزله،ألقي القبض على السلطان عبد العزيز الذي أمضى بقية حياته في قصر" جراغان ". وقد تولى الخلافة من بعده السلطان عبد الحميد الثاني الذي أجبر في بداية حكمه على الاستجابة لكل الإصلاحات والتعديلات الممّهدة لإعلان النظام الجمهوري وذلك بتأثير من النفوذ الماسوني الذي أصبح قويا في القصر والدولة(٣٤)؛ تزايد نفوذ الدونمة؛ إذ حصلوا على مقعد في أول برلمان عثماني عام ١٨٨٧(٣٥). وفي هذا المجال يؤكد السلطان عبد الحميد في مذكراته أهداف مدحت باشا الماسونية(٣٦)حين قال: " لقد وجدت مدحت باشا يُنصِّب نفسه اَمراً ووصياًعليّ وكان في معاملته بعيدا عن المشروطية(الدستور)، وأقرب إلى الاستبداد " (٣٧) .

وما تجدر الإشارة إليه هو أنّ اليهود استطاعو كيهود وليس فقط كمسلمين(دونمة) الوصول إلى العديد من المراتب العليا في الدولة العثمانية ومنها مثلاًأول سفير للدولة العثمانية في بريطانيا كان من اليهود المهاجرين من إسبانيا، وإنْ كان لايُعرف بالضبط إن كان من جماعة الدونمة أم لا(٣٨).

وعندما بدأ المشروع الصهيوني عام ١٨٩٧م بعد مؤتمر بازل، اصطدم " هرتزل "(٣٩)(مؤسس الحركة الصهيونية) بالرفض القاطع من قبل السلطان عبد الحميد الثاني لفكرة إقامة وطن لليهود في فلسطين؛ حيثرفض السلطان عبدالحميد العروض المالية التي قدمها له (هرتزل) جميعها، ومنها تقديم قرض طويل الامد للدولة العثمانية من قبل الرأسماليين اليهود، لتصفية المديونية العثمانية، مقابل إصدار السلطان (بيان صداقة)، يرحب فيه بقدوم اليهود الى الإمبراطورية العثمانية والاستيطان فيها(٤٠).

وقد رد السلطان عبدالحميد الثاني على هرتزل بقوله : (ليحتفظ اليهود بملاييينهم، فإذا قسِّمت الامبراطورية، فقد يحصل اليهود على فلسطين دون مقابل). ولم يكن هذا الموقف هو الوحيد للسلطان عبدالحميد الثاني في مواجهة الصهيونية، فقد عمل جاهداً على مقاومة المشروع الصهيوني فوضع ميزانية خاصة للقيام بدعاية مضادة للحركة الصهيونية(٤١). كما أصدر تعليماته الى مجلس الوزراء لاتخاذ الوسائل الكفيلة بمقاومة المشروع الصهيوني(٤٢).

بدأت الدول الاوروبية تعمل على محاربة الفكرة الاسلامية التي تبناها السلطان عبد الحميد الثاني(١٨٧٦-١٩٠٨) في نهايات القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، لاسيما ان الدولة العثمانية كانت تمر بأضعف أدوارها ومراحلها (الرجل المريض)، وكان المجتمع اليهودي في طليعة كل القوى العالمية يرغب باضعاف الدولة العثمانية وازالة الروح الاسلامية المتجذرة داخل المجتمع العثماني، وكانت الحركة الطورنية الجديدة[٤٣]،التي تنادي بالقومية التركية قد بدأ نجمها يسطع على مستوى كبار الساسة الأتراك، وقد وجد فيها يهود الدونمة فرصة لمقاومة الفكر الإسلامي، حتى أنّ اصبح اهم المراجع لمروجي هذه الحركة هو كتاب(تاريخ الترك والمغول في اسيا من مبدأ نشاتهم الى سنة ١٨٠٥) للكاتب اليهودي ليو كاهون والذي صدر سنة ١٨٩٦، وكذلك أصدر اليهودي البولوني الأصل قسطنطين بورجتسكي كتاباً في عام ١٨٩٩م بعنوان(الاتراك القدامى والاتراك الجدد) تغنى فيه بفحولة الاتراك القدامى وتفوقهم العرقي، نادباً انحطاط الاتراك الجدد ومثيراً نزعة التمجيد العرقي، واستخدم الصهيونية "جمعية الاتحاد والترقي" التي كان معظم اعضاؤها من الماسونية والدونمة كأداة لتحقيق هذا الهدف واستطاعوا اجتذاب الشباب الاتراك المسلمين تحت ستار الحرية والاخاء والمساواة وقد تأسست سنة ١٨٨٩ م وكان مؤسسها شخص ماسوني يدعى ابراهيم تيمو، اما الدونمه فكانوا العقل المدبر والممول لنشاطاتها، واتحدت مع جمعية "وطن" التي اسسها مصطفى كمال اتاتورك عام ١٩٠٦ فأطيح بالسلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٩٠٨، وكان على رأس قادة الانقلاب جاويد بك وقره صو (يهود الدونمة). ولكن أخطر شخصية يهوديه روجت للأفكار الطورانيه وأظهرت تعصبها في سبيل افشاء ونشر هذه العنصرية بين الأوساط العثمانية هو موئيز كوهين الذي تكمن خطورتة من خلال مؤلفاته التي تميزت بالعنصرية وأصبح من اكثر الدعاه للفكرة الطورانية في الدولة العثمانية(٤٤) .

وساهم الكثير من يهود الدونمة في تكريس الطورانية ونكران فضل الدين الاسلامي وحضارته على جميع الشعوب بل ظهر بعض الكتاب أبعد من ذلك عندما كتبوا (ان العرب يتكلمون بلغتهم ويجهلون التركية كل الجهل كأن بلادهم ليست تابعة لتركيا، فألواجب على الحكومة أن تجعلهم ينسون لسانهم، ويستبدلونه بلسان الأمة التي تحكمهم، واذا تناست الحكومة هذا الواجب كان مثلها مثل الذي يحفر قبره بيديه، لأنه إن لم ينس العرب لسانهم وتاريخهم وعاداتهم سعوا في إعادة مملكتهم القديمة). وكان ليهود الدونمة الاثر الكبير في تنمية وتكريس هذا المفهوم العنصري لاسيما اذا ماعلمنا بان الدعوة(السياسية للتتريك) انبعثت من الكتابات اليهودية ، فأخذوا يقنعون عامة الناس بأن الخلافة استبداديه لا تلتزم بالقانون وان ضررها أكبر من نفعها. ويجب التخلص منها وقيام دولة قومية تعتمد على التطور الموجود في اوروبا .

ويعلق السلطان عبد الحميد الثاني قبل خلعة وكأنه قد استشرف ما سيحصل بالدولة العثمانية على ايدي الاتحاديين مؤكدا : " انهم لم يهدموا عبد الحميد. ها هم قد هدموا الدولة العثمانية " وكذلك يؤكد السلطان عبد الحميد في رسالة ارسلها من سلانيك الى الشيخ محمود ابو الشامات في دمشق ان سبب خلعه عن العرش أنما لرفضه الموافقة على إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.ومما يجدر ذكره من الامور ذات المغزى العميق : ان الوفد الذي توجه الى عبد الحميد الثاني لاخباره بعزله كان يضم بين افراده احد اليهود ويدعى عمانوئيل قره صو ، وكان هذا مثارا لاستياء السلطان وحزنه الشديدين. ويربط السلطان بين خلعه عن السلطنة وموقفه الحازم من مطامع الصهاينة بقوله : " إن هؤلاء الاتحاديين قد أصرُّوا على بان اصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة(فلسطين)، ورغم إصرارهم، فلم أقبل بصورة قطعية لهذا التكليف[٤٥].

استطاع العديد من يهود الدونمة الوصول الى مراكز مرموقة في السلطنة، وكان من ابرزهم محمد جاويد بك الذي كان من أبرز رجال جمعية الاتحاد والترقي، وقد شغل منصب وزير المالية ثلاث مرات ابتداء من عام (١٩١٠-١٩١٨) [٤٦].

الخاتمة والاستنتاجات :

كانت الدولة العثمانية تضم في داخلها العديد من الديانات والقوميات بحكم امتدادها الواسع على مساحات شاسعة، وكان من ضمنهم اليهود الذينفرّوا من أوروبا والأندلسإلى الدولة العثمانية باعتبارها دولة متسامحة، وذاتاهمية استراتيجة من ناحية الموقع ممايسمح لليهود بممارسه نشاطهم الرئيس وهو التجارة الأمر الذي يتيح لهم زيادة ثرواتهم بصورة كبيرة، وقد نتج عن هذا التغيّر في ديانة" سبتاي " الى تغيير في الأسلوب مع بقاء الهدف نفسه، وهو إيجاد وطن لليهود، خصوصا بعد تعيينه داخل القصر في استنبول حيث أصبحت لهحرية اكثرفي التحرك من أجل نشر دعوته وتجميع اليهود حول نقطة مركزية، وهي القضاء على الدولةالإسلاميةوتوحيد جهودهم بمختلف الطرق للوصول الى غاياتهم . ومن هنا، ياتي خطر يهود الدونمة باعتبارهميمثلون الحركة اليهودية الباطنية التي تعلن الإسلام ظاهرياولكنهم ظلوا يتمسكون بالديانة اليهودية،هذا إضافة إلى تمسكهم بتعاليم " سبتاي " ومعتقداته؛ حيث كان البعض من اليهود يعتبرونه المنقذ والمخلّصلهم من الظلم والاستبداد، وقد كانت أهدافهم تتضح من خلال :

١. ان اسبتاي زيفي،أول من حاول إيجاد فكرة الصهيونية العالمية،ونادى باتخاذ فلسطين وطناً لليهود ، وقد جاء " تيودور هرتزل "لينفذ فكرة " سبتاي " فيما بعد أي بعد ثلاثة قرون .

٢. كانت حركته دينية– سياسية، تهدف إلى القضاء على الدولة العثمانية من الداخل .

٣. محاولة هدم القيم الإسلامية داخل المجتمع العثماني، عن طريق تبنّى أفكار غير إسلامية ورفض القيم والمبادىء الإسلامية .

٤. خلق حالةمن الصراع بين الدولة العثمانية من جانب، والمنطقة العربية من جانب آخر، بعدما حاولت فرض اللغة العثمانية ونظام المركزية على الولايات العربية .

٥. إيجاد العديد من الفتن الداخلية في الولايات العثمانية كافة، وتشجيع النزعات الانفصالية عن السلطة المركزية

٦. توظيف الجانب المالي في خدمة قضيتهم، ومحاولة انتزاع اعتراف من السلطان عبد الحميد الثاني بأحقية اليهود بفلسطين، عن طريق رشوته بالمساعدات المالية. وقد قابل السلطان هذا الطلب بالرفض القاطع .

٧. إيجاد مبرّر لتدخل الدول الأوروبية في الدولة العثمانية، عن طريق شعارات الإصلاح التي كانت تطالب بها جمعيات وشخصيات ترتبط بالماسونية وبيهود الدونمة بصورة مباشرة وغير مباشرة .

ونضيف أنّ يهود الدونمة بدأت تتحالف مع النخب السياسية التركية لتحقيق اهدافها بدون تردد، وقد استخدمت الحركة الصهيونية التي كانت تنادي بالقومية التركية فرصة لمقاومة الفكر الأسلامي .

مصادر الدراسة

١- خالد سلمان شدهان ، يهود الدونمة وعلاقتهم بالطورانية التركية في الدولة العثمانية، مجلة تكريت، م ١٨ ، العدد ٦، أب ٢٠١١ ، ص٣٨٣ .

هنري الثالث : تولّى عرش انكلترا خلال سنوات (١٢١٦-١٢٧٢) بعد والده الملك جون الأول، وتُعدُّ مدّه حكم هنري الثالث، هي حقبة الوصاية من قبل النبلاء على العرش الإنكليزي، وفي نهاية حكمه انتهت الحرب بين البابوات والأباطرة. لمزيد من التفاصيل انظر : " هـ . و. ديفز" أوروبا في العصور الوسطى، ت .عبد الحميد حمدي ، دار المعارف، ط ١، الاسكندرية، ١٩٥٨، ص١٦٢-١٦٣؛ J. Freely, the lost Messian, In search of sabbataisevi , London, 2001, p68-69 .

٢- ادوارد الأول : ملك انكلترا بين (١٢٧٢- ١٣٠٧) اشتهر باصلاحاته الكثيرة، ومنها : التشريعات القانونية، وقد شهد عهده عقد البرلمان النموذجي الذي جمع فئات المجتمع الأنكليزي، وفي عهده أيضاً وبالتحديد عام ١٢٨٢ أخضعت "ويلز" لهيمنة إنكلترا، "هـ . و. ديفز" ، أوروبا في العصور الوسطى ، المرجع نفسه ، ص ١٦٤- ١٦٥ .

٣- كمال السعيد الحبيب، الأقليات والسياسة في الحياة الإسلامية من بداية الدولة النبوية حتى نهاية الدولة العثمانية (٦٢٢-١٩٠٨)، مكتبة مدبولي للنشر، القاهرة، ٢٠٠٢، ص٣٢٨ .

٤ صالح زهر الدين، اليهود في تركيا ودورهم في قيام الحلف التركي الإسرائيلي، الدار الوطنية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ١٩٩٨، ص٥٤-٥٥

٤- محمد علي قطب، يهود الدونمة، دار الانصار، ١٩٧٨، القاهرة ، ص٩ .

٥- احمد نوري النعيمي، اليهود والدولة العثمانية، دار البشير، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧ ، ص٣٣-٣٥ .

٦- هاشم عزة جلال، الأقلية اليهودية في تركيا، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، العدد ١٣١ ، ص٩١ .

٧- " سبتاي زيفي" : وهو شخصية يهودية من أصل إسباني ابن السمسار اليهودي موردخان زيفي المعروف بين الأتراك باسم " قرة منتشة" ولد بمدينة ازمير غرب الأناضول عام ١٦٢٦؛ حيث هاجر والداه من إسبانيا إلى استنبول، مستغلين سياسة التسامح الديني مع اليهود في الدولة العثمانية وأصبح "سبتاي" حاخام مدينة أزمير إثر تعلمه التوراة والتلمود، وقد استنبط من النصوص العبرانية حسب منهج "الكابالا"(Kabbalah) أنّ ظهور المسيح سيكون عام ١٦٤٨، فأعلن نفسه مسيحياً بعمر الثانية والعشرين، وقد اعتبره حاخامات أزمير مجنون مختل، ومعتل الصحة والمزاج، فابتعدوا عنه، ولم يصدّقوه، وحاولوا الوشاية به للسلطان العثماني الذي أمر باتخاذ التدابير لكبح هذه الافكار ، لمزيد من التفاصيل انظر، إلهام محمود كاظم، دور يهود الدونمة في انهيار الدولة العثمانية، مجلة كلية الاداب الأساسية، جامعة بابل، العراق، العدد ٧، أيار ٢٠١٢، ص١٥٨ .

١٠. مصطفي خوران، اسرار الانقلاب العثماني، ت.خوجة، استانبول، ١٩٩٧، ص١١٢ .

١١. ثريا شاهين، دور الكنيسة في هدم الدولة العثمانية، ت. محمد حرب، لا.ن ، استانبول، ١٩٩٧ ، ص١١٢.

12-G. Scholen, Sabbaataisevi, London, 1973, p424-425.

١٣. سنان صادق جواد، يهود الدونمة نشأتهم وأثرهم في الدولة العثمانية حتى عام ١٩٠٩، مجلة ديالي، العدد ٥٥، العراق، ٢٠١٢، ص١٤-١٩ .

١٤. جعفر هادى حسين، الدونمة بين اليهود والإسلام، ط١، دار الوراق، بيروت، ٢٠٠٨، ص٨٨-٩٠.

١٥. وهي اشهر الفرق التي روّجت لمشروع العودة المزعومة إلى أرض الميعاد وأطلق عليها اسم الدونمة بعد التحول إلى الإسلام . لمزيد من التفاصيل ينظر سنان صادق، يهود الدونمة ...، المرجع السابق، ص٣ .

١٧. أبراهام كردوز: كان طبيباً واحد زعماء الجالية اليهودية في ليبيا. لمزيد من التفاصيل ينظر . سنان صادق جواد، يهود الدونمة، المرجع نفسه، ص١٣-

١٨- سنان صادق جواد، يهود الدونمة، المرجع نفسه، ص١٣-١٥ .

١٩–ألهام محمود كاظم، دور يهود الدونمة في انهيار الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص١٥٦–١٥٨ .

٢٠– محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي، ١٩٨٩،القاهرة، ص١١١.

٢١– سالونيك: مدينة تقع على بحر إيجة شمالي شرق اليونان،وهي في الوقت الحاضر ميناء يوناني، تبعد عن اسطنبول حوالى (٢٥٠) كم، ولها موقع تجاري مهم، دخلت إلى حوزة العثمانيين عام ١٤٣٠؛ حيث تخلى عنها العثمانيون بموجب معاهدة بوخارست. لمزيد من التفاصيل انظر , احمد نوري النعيمي، اليهود والدولة العثمانية، مرجع سابق، ص٢٦ ؛

Runic man,S, The fall of constantinople 1453, Cambridge 1965, p122 .

22– GiilerilNaim, The History of Turkish jews , Holiday newspaper , no 12 Winter 2001, p.10 .

٢٣–محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، المرجع السابق، القاهرة، ص٤١ .

٢٤– محمد كمال دسوقي، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٦، ص٧٣.

٢٥–احمد نوري النعيمي، اليهود والدولة العثمانية، المرجع السابق ، ص٢٨ .

٢٦– فريناند: ملك قشتالة وليون (١٤٧٤– ١٥٠٤) أصبح ملكاً على أراجون عندما منحه أبوه ملكها قبل موته. وتزوج من إيزابيلا ملكة قشتالة عام ١٤٦٩ وحكما قشتالة، وهكذا توحّدت إسبانيا، وأقاما محاكم التفتيش التي قامت بطرد جميع الديانات غير المسيحية من الأراضي الإسبانية لمزيد من التفاصيل انظر:

Champ an. Charles, A History of Spain , New York, 1958, P212 .

٢٧– محمد يونس، الدين والسياسة والنبّوة بين الاساطير والشرائع السماوية، دار الكتاب العربي للنشر، ط١، دمشق، ٢٠١٠، ص٢٣٠ .

٢٨– وليد رضوان: تركيا بين العلمانية والإسلام في القرن العشرين، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط١، بيروت، ٢٠٠٦، ص٢٦ .

٢٩– خالد سلمان شدهان ، يهود الدونمة وعلاقتهم بالطورانية التركية في الدولة العثمانية، مرجع سابق ، ص٣٨٦ .

٣٠–ألهام محمود كاظم، دور يهود الدونمة في انهيار الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص ١٥٩ .

٣١– ولد مدحت باشا، وهو من يهود الدونمة عام ١٨٢٢ في استانبول، وتولى عدّة مناصب، منها: والي بلغاريا، ووالي الدانوب، ووالي بغداد، وأصبح وزيراً للعدل في وزارة محمد رشدي باشا في عهد السلطان عبد العزيز، وساهم بشكل كبير في خلعه بالتآمر مع بريطانيا، وأصبح الصدر الأعظم في فترة حكم مراد الخامس، أحمد نوري النعيمي : اليهود والدولة العثمانية، مرجع سابق، ص١١٦ .

٣٢– بعد خلع السلطان عبد العزيز، وتنصيب مراد الخامس مكانه على العرش، أصيب السلطان الجديد بنوبة عصبية صحبها توتر وهيجان شديدان ، وبعد أسبوع من توليته ارتأى مدحت باشا والوزراء مبايعة الأمير عبد الحميد شقيق مراد، ورفعه إلى العرش مكانه في ٣١ اب ١٨٧٦، واستدعي العلماء والأمراء والأعيان إلى الديوان الملكي، إذ عرُض الأمر على شيخ الإسلام حسن خير الله أفندي لأخذ فتواه " إذا جنّ إمام المسلمين جنوناً مطبقاً، ففات المقصود من الإمامة فهل يصحُّ حلُّ الإمامة من عهدته؟ الجواب يّصح، والله أعلم" لمزيد من التفاصيل أنظر: سعيد أحمد برجاوي: الإمبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ص١٩٩٣، ص٢٥٣.

٣٣– منصور عبد الحكيم، عبد الحميد الثاني المفترى عليه، لا.م ، القاهرة، ٢٠١٠، ص٤٠٢ .

٣٤–ألهام محمود كاظم، دور يهود الدونمة في انهيار الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص ١٦٠ .

٣٥– دهام محمود علي الجبوري، اليهود في المجتمع التركي، مجلة دراسات اجتماعية، بيت الحكمة، بغداد، العدد٥، ٢٠٠٠، ص٦٥ .

٣٦– الماسونية : حركة يهودية خفية ذات أهداف بعيدة المدى، غايتها وأهدافها السيطرة على العالم عن طريق الاقتصاد والإعلام وتنُظّيم نشاطاتها في ما تسمى محافل وقد تأسس أول محفل ماسوني في الدولة العثمانية عام ١٧٣٨ في غلاطة سراي تبعه محفل أزمير عام ١٧٧٣، وبعد سقوط السلطان عبد الحميد الثاني أخذت المحافل الماسونية تعمل بنشاط ومن دون قيود؛ حيث شهد عام١٩٠٩ إنشاء اثنا

عشر محفلاً ماسونياً، لمزيد من التفاصيل أنظر إبراهيم خليل العلاف، دور الماسونية في الحياة الاجتماعية والسياسة التركية المعاصرة، مجلة دراسات اجتماعية، بيت الحكمة، بغداد، العدد ٣، ٤، لعام ١٩٩٩- ٢٠٠٠، ص٣٠ .

٣٧- محمد حرب : مذكرات السلطان، المرجع السابق، ص١٢١ .

38-Giileril Naim, the History of Turkish jews , Holiday newspaper, no12 winter 2001, P.10.

٤٠- وفيق شاكر: السلطان عبد الحميد الثاني وفلسطين، ط٧، الرياض، ١٩٩٢، ص١٧٩ .

٤١- منذر ابو هواش: الحركة الطورانية الجديدة في بلاد تركيا: مجلة المنار، م١٩ ، ج٨، يناير ١٩١٧، ص٥٠١ .

٤٢- محمد حرب : مذكرات السلطان، المرجع السابق، ص١٢١ -١٢٧.

٤٣- الطورانية: حركة سياسية قومية ظهرت بين الاتراك في القرن التاسع عشر واللفظ مأخوذ من طوران إقليم في اواسط اسيا وهو المكان الذي انتقلت منه الشعوب التركية وهدفها توحيد أبناء العرق الواحد ودمج الثقافات وحصرها بالتركية داخل حدود الدولة العثمانية ؛ لمزيد من التفاصل جبران خوري: الصهيونية والطورانية وتأثيرها على مستقبل شعوب المنطقة، دار الصداقة، حلب، ١٩٩٤، ص٦-٩ .

٤٤- جعفر هادى حسين، الدونمة بين اليهود والإسلام،المرجع السابق، ص ٩٤-٩٧ .

45-M. Philip Price, A History of TurKey, From Empire to Republic, London, 1956, P.181-182 .

٤٦- محمود عبد الواحد: مواهب عدنان أحمد، موقف السلطان عبد الحميد، المرجع السابق، ص١٨٥-١٨٧ .